# كتاب العبر.
# وديوان المبتدأ والخبر.
# في أيام العرب والعجم والبربر.
# ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر

حقّقهُ وعلّق حواشيه
**طرّاد الكبيسي**

## فاتحة

يقول العبد الفقير إلى الله تعالى.... بن .....:

الحمدُ للَّهِ الذي لهُ العِزَّةُ والجَبَروت ٥ وبيدهِ المُلْكُ والملكوت ٥ تكتَّنُنا الأرحامُ والبيوت ٥ ويَكْفلُنا الرزقَ والقوت ٥ وتُبْلِينا الأيامُ والوقوت ٥ وتعتورُنا الآجالُ التي خُطَّ علينا كِتابها الموقوت ٥ فَلَه البقاءُ وَحْده والثبوت ٥ والصلاةُ والسلامُ على سيدنا ومولانا مُحمَّد النبيّ العربيّ المنعوت ٥ بأفضل المكارم والنعوت ٥

أما بعدُ ٥ فإنّ فَنَّ التاريخ من الفنون التي تتداولُه الأممُ والأجيال ٥ وتُشَدُّ إليهِ الركائِبُ والرِحال ٥ ولمَّا طَالعْتُ كُتُبَ القوم ٥ وسَبَرْتُ غورَ الأمسِ واليوم ٥ نبَّهْتُ عينَ القريحةِ من سِنَةِ الغفلةِ والنوم ٥ **فأنشأتُ في** التاريخ كتاباً كَشفْتُ فيه عن أحوال الأُمة ٥ وماتَلْتاتُ بهِ من الفُرقةِ والغُمَّة ٥ ولَّما كان مشتملاً على أَخبار الأعرابِ والعربان ٥ من أهل الوَبَرِ والعمران ٥ ومَنْ عاصرهم من ذوي العِزَّةِ والشان ٥ وأَفْصَحَ بالذكرى والعِبر ٥ في مُبتدأ الأحوال وما بعدها من الخبر ٥ تحاشيتُ فيه الظِنَّة والظنون ٥ واستخرتُ أستاذنا عبد الرحمن بن خلدون ٥ **فهو** الذي ابتنى للتاريخ أُسَّه ٥ وأَحكمَ بنيانَهُ ودَرْسَهْ ٥ سمَّيتُه: **كتاب العِبر. وديوان المبتدأ والخبر. في أيام العرب والعجم والبربر. ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر** ٥ ورَتَّبْتُه على مقدمةٍ بجزءين ٥ وأربعةِ أبواب كلّ بابٍ بفصلين ٥ أَلَّفْتُ فيها بين منقولٍ ومجهول ٥ داحياً ما لا يَنْقالُ فيما يَنقال ٥ والحقيقةَ بالخيال ٥ واللَّهُ أعلمُ بالحالة والمُحال ٥

## المقدمة

**ـ ١ ـ**

مَرَّ هذا الزمانُ عَجُولاً، بِنا
لم يَنْتَظِرْ حتى نأتي بما لم تَستَطِعْهُ الأَوائلُ.
وَخلَّفَتْنا الريحُ والقبائلُ،
شظايا، يَدوسُها الليلُ، والخيلُ، والأَصائلُ،
كأنَّا لم نَعْبُرْ بحاراً، ولم نَجْتَزْ جبالاً،
ولم تُحاصِرْنا المضايقُ، والمهالِكُ، والأَيائلُ!
شَهِدْنا البدايةَ
وكُنا النهاية
وآخرَ المُغنّينَ،
والقرويّنَ،
والسائرينَ في نومهم،
أَبَدَ الأبدين!

**ـ ٢ ـ**

هذا التاريخُ،
لم يكتُبْهُ أَحَدْ.
هذا التاريخُ،
بلا جَسَدْ.
لم يَلِدْ، ولم يُولَدْ، ولم يَعُدْ:
غيرَ طريقٍ لا يُفضي إلى نَجمةٍ،
أَوْ متاهَة تُفضي إلى بُرْهةٍ،
حيث يُرمِّمُ الغرباءُ أَسماءَهم
وينشدُ الغُزاةُ أَشعارهم
ويكتب الطغاةُ أَمجادهم

فكأنَّ ما بين البدْءِ والأَبَدْ،
لا أَحَدْ!

## الباب الأول: الفصل الأول

### مُبتَدأ الخَلْق

في البدْءِ، خَلَقَ اللَّهُ، البَدْوَ
وأَنْحَلَهُم الضروريَّ من الأَقواتْ
لكنَّهم لمَّا تبطَّروا على الوَبَر والشَّجَرِ والحجاره.
لَعَنهُم بالحضاره.
وأنزلَهم منزلَةَ النساءِ،
من الولايةِ والغضاره!

## الباب الأول: الفصل الثاني

### صفة جزيرة العرب

(وإنَّما سُمِّيَتْ بلادُ العربِ، الجزيرةَ لإحاطةِ البحارِ والأنهارِ بها من أقطارها وأطرارها. وصاروا منها في مِثْل الجزيرة من جزائر البحر. وذلك أن الفرات القافلَ الراجعَ من بلاد الروم يظهرُ بناحية قِنَّسرينَ، ثم انحطَّ على الجزيرة وسواد العراق حتى دفعَ في البحرِ من ناحيةِ البصرةِ والأُبلَّة، وامتد إلى عبادان. وأَخذَ البحرُ من ذلك الموضِعِ مُغرباً مُطيفاً ببلادِ العَرَبِ، منعطفاً عليها فأتى منها على سَفوانَ وكاظمةَ ونفَذَ إلى القطيف وهجْرَ وأسيافِ البحرين وقَطَر وعُمان والشِّحْر، ومالَ مِنْه عُنق إلى حضرموتَ وناحية أَبْيَن وعدن ودهلك، واستطال ذلك العُنقُ فَطَعَن في تهائم اليمن بلاد فرسان وحَكَمَ والأَشعريين وعكٍ ومضى إلى جَدة ساحلِ مكة، والجارَ ساحل المدينة، وساحل الطُور وخليج أَيْلَةَ وساحل راية حتى بلغ قلزم مصر وخالط بلادَها. وأقبلَ النيلُ من غربيٍّ هذا العُنُقِ من أعلى بلاد السودان مستطيلاً مُعارضاً للبحر معه حتى دَفَع في بحر مصر والشام، ثم أقبلَ ذلك البحرُ من مِصْرَ حتى بلغ بلادَ فلسطين فمرَّ بعسقلان وسواحلها وأتى على صُور ساحل الأُرْدُن وعلى بيروت وذواتها من سواحل دمشق، ثم نَفَذَ إلى سواحل حمص وسواحل قِنَّسرينَ، حتى خالطَ الناحيةَ التي أقبلَ منها الفراتُ مُنحَطّاً على أطراف قِنَّسرينَ والجزيرة إلى سواد العراق..)

هذي البلادُ المِثْل الحَلَقَهْ
كيف آستحالَتْ خِرْقةً مُمَزَّقه!

## الباب الثاني: الفصل الأول

### الإحاطة في أخبار سقوط غرناطة!

لا عِلْمَ لي..
فلَمْ أَدخُلْ مع الفاتحين
ولم أَخرجْ مع النازحين
لكنْ حَدَّثَ مَنْ عنده العِلْمُ اليقين،
عن الرواةِ والحُواةِ والمؤرخين، قال:
سقطَتْ غرناطةُ، مَرَّتين:
في العام ١٤٩٢ على يدِ العرب المُستعربة
وفي العام ١٩٩٢ على يدِ العرب البائدة
وهي مِن بَعْدِ سقوطِها، ستسقطُ على يَدِ العَربِ السائدة!

## الباب الثاني: الفصل الثاني

### آخر حَسَرات المغربي

ـ ١ ـ
أَضاعَتْ غرناطةُ، غرناطةَ، في غرناطة
غرناطةُ تبحثُ عن نفسها،
وأنا أبحثُ عن نفسي،
وأمةٌ تبحثُ عن نفسها، في كومةِ قشّ!

ـ ٢ ـ
عندما غادَرنا الولايه،
لم نَتَّبِعْ نَجْماً،
ولا سَأَلْنا عن طريقِ الهدايه
ملأَ الضبابُ رؤوسنا
واختبأَ الغُزاةُ في قلوبنا
وكانَ زادَنا: غلامٌ وجاريةٌ،
وبعضُ العطايا.

ـ ٣ ـ
إلى شجرٍ قاحلٍ، أوثقونا
وداخل اسطوانةٍ، أنبتونا
وإلى المنافي، أسلمونا
وقالوا: تغنَّوا بمجدٍ لم تصنعوه،
وبنشيدٍ لم تكتبوه،

وبفرحٍ لن تقربوه.
لكننا، لمَّا مِن وَجَع، بَكِينا
على قرى النمل، أُجلسونا!

## الباب الثالث: الفصل الأول
## العسجد المسبوك في أخبار القبائل والملوك

عن أبي يوسف، قال:
زرعنا، فأكلوا
وزرعوا، فلم نأكل.
ثم تشتَّتنا أيدي سبأ، في الصحراء
وتبارينا في الجَرْي مع النُّوقِ والهواملِ والحرباء..
الصحراءُ من أمامنا،
والصحراءُ من ورائنا،
**جَسَدٌ برزخيٌّ هذه الصحراء**
**تقاسمته القبائل والعوائل والسادة الشرفاء!**
**تقاسمه الوثنيُّ والأُلوهيُّ.. العربيُّ والأعجميُّ،**
الأبيضُ والأسودُ الحبشيُّ،تقاسمته الرياحُ،
فانقطعَ السبيلْ،
وضلَّ الدليلْ،
الداخلُ كالخارجِ،
والراحلُ كالساكنِ،
والقاتلُ كالقتيلْ.

## الباب الثالث: الفصل الثاني
## تغريبةُ المَساق في اختراق الآفاق

(بكَيْنا أَرضَنا لمَّا ظَعَنَّا
وحَيَّتْنا سُفَيرةُ والغَيَام).
قالتْ سُفَيْرةُ: احذروا أن تَعْصِفَ الريحُ بخيامكم
وأنْ تروا شَجراً يمشي تجاهكم
وأنْ يرعى الغريبُ أغنامكم.
وقالتْ سُفَيْرَةُ: وتزوَّدوا بالخامِ وبالطعام،
وبعصي تتوكأون بها وأنتم ترتقون الجبال،
وتَنشُّونَ البُداةَ عن شرابكم،
والذبابَ عن طعامكم،
والرجالَ عن نسائكم.
لكننا في مُنْتصفِ الطريقِ،
وَقَعْنا في قِيْعَةِ السرابْ.
وتألَّبَ الذبابُ علينا،
وانتهبَ الأَعرابْ:
طعامنا وشرابَنا.
وهجم البُداةُ، كلٌّ يحملُ قَضيْبَهُ،
فاغتصبوا النساءَ،
وخرئوا على الأبواب.
فَبِتْنا لَيْلَنا: لا سادةً،
ولا حُجَّاب!
وإلى صنعاءَ، في الصباحِ، واصلنا المَسير،
الترابُ على رؤوسنا،
والزَلَّةُ في قلوبنا،
فنادى منادٍ من جبلٍ عال:
أيَّتُها العِيرُ سَتُحشرونَ في السؤال،
فقد اقتربَتِ الساعةُ وفَسَد الزمان،
وآستغنى الرجالُ بالرجال، وركبت النساءُ السروج
فالهَرَب الهرَب!
الهَرَبَ الهرَب!

## الباب الرابع: الفصل الأول
## جواهر المعاني فيما حَدَث في عام الفيل الثاني

في عام الفيل الثاني،
مطلع العِقْدِ التاسع من القرن العشرين،
نزعتْ قبائلُ أوربا، قَلْبَها الفِراءَ،
وارتدَتْ ثانيةً، (قلبَ الأسدْ)!
وحين سالَ دمُ الفريسةِ،
واستفزَّتها شهوةُ الجَسدْ،
أمطرتْ نيرانَها العاصفاتِ،
فما قال أحَدْ:
ـ يا نار كوني برداً وسلاماً على العراقيين..!
لكنْ، وبَعْدَ حِينْ،
جاءَ الأخوةُ ـ الأعراب ـ أباهم. مساءً، يبكون،
قالوا: نَلُمُّ الرماذْ..

نُوزِعهُ في البلادْ..
فيضيعُ الدمُ.. ونبلغَ المُرادْ..!

## الباب الرابع: الفصل الثاني

## كَشْفُ الغُمَّة في أحوال الأُمة

حدَّثَ المقريزيُّ قال:

في الأَعوام الأُولى قبل الطوفان ـ في الأَعوام الأُولى
في الأَيام الأُولى قبل الطوفان ـ في الأَيام الأُولى
لم نَدَّخِرْ قمحاً ولا بَقَراتِ سمانْ
تأكلُهنَّ الآتياتُ العِجافْ
كُنا نخافْ..
جُوعَنَا الآجلَ، وموتَنا العاجلَ،
فنأكل ما ننتج قبل القِطافْ

* * *

في الليلة الأُولى قبل الطوفان ـ في الليلة الأُولى
في الساعة الأُولى قبل الطوفان ـ في الساعة الأُولى
كُنا قد نَشَّفْنا الدنانْ
وأُفْرِغت الأَهواءُ مما كان،
وآستبد الطحّانونَ والزرّاعونَ والتجارُ الكبارُ،
والسماسرةُ الصغارُ، بأقواتِ الناسْ،
واضطربَ الحالُ من الساس إلى الراس.
وهاج الناس وماجوا،
وأَكلوا الميتةَ والدمَ ولحم الخنزير
وأكلوا خراءَهم..
ثم صلُّوا للاله العليِّ القدير!

## خاتمة

لم نُعْطَ جَوامعَ الكَلِم،
ولم نُورَّثْ حتى نُوْرَث،
غَيرَ هذا الجَسدِ البرزخيّ،
أَنَبتُوهُ كما الطراثيثُ في السباخ.
فأثمَرَ لحىً للثعالب،
وتعويذةً للموسوسين،
وأُكذوبةً للقادمين،
عن بلدٍ آمنٍ أَمين!

## انتهى

قال المؤلّفُ عفا اللَّهُ عنه، بدأتُ الكتابَ بالوضع والتأليف يوم الأربعاء ٢٣ شوال ٨٩٨ هـ الموافق اليوم الثاني من كانون الثاني/ يناير ١٤٩٢ م وواصلتُ فيه النظرَ بالتنقيح والتهذيب فأتممته يوم الأربعاء ٢٠ محرم..

[بقيّة النص مخروم أَتلفتْهُ العِثَّةُ.. لا يمكن قراءته] (المُحقّق).

قال المُحقق: عثرتُ على هذه الأوراق في دُرْج قوم بادوا قبل خمسمائة عام، مخُلِّفينَ وراءهم، من الخُطب والصَّخَب واللّعنات، ركاماً يعلوه غبار. فبدأتُ النَسْخَ والتحقيقَ حتى أتممتُه يوم الأربعاء ٢٠ محرم ١٤١٥ هـ الموافق ٢٩ حزيران ١٩٩٤ م. ويهمّ المحقّق أن يؤكد لجميع من يهمّهم الأمرُ من الأعراب البائدين والسائدين، ومَن نجا مِنَ الانقراض حتى العام ٢٠٠٠ أنَّ كلَّ مَا جاءَ في هذه الأوراق، يُعبِّرُ عن رأي كاتبها المؤلّف المجهول...

ونسأله تعالى أَن يُخفِّفَ عنا وعنه ثُقْلَ أَخطائنا وخطايانا، فلم يَمْنحنا ظَهْراً «قويًّا» ولا مَجْداً «عليًّا».

ورحم الله كاتبه وناسخه ومَنْ نظر فيه ودعا لهما بالمغفرة والرحمة.

بغداد

**إيضاحات من المُحقّق:**

(١) الفاتحة: عن مقدمة ابن خلدون مع تغييرات طفيفة.

(٢) صفة «جزيرة العرب»: مأخوذ بالنص عن كتاب صفة جزيرة العرب من تأليف الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمذاني، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي/ منشورات دار اليمامة ـ الرياض ـ ١٩٧٤/ص ٥٨.
وهنا شرح بعض المفردات في النص أعلاه: الشِحْر: ساحل حضرموت. والطور: طور سيناء. وأيْلَة: العقبة ميناء الأردن. وراية: من كور مصر البحرية. والقلزم: البحر الأحمر. وعك: أرض تهامة.

(٣) في «آخر حسرات المغربي» استفادة من قصيدة الشاعر يفتوشنكو «الفقدان» في رثاء الاتحاد السوفيتي السابق.
و «آخر حسرات المغربي» هو الموضع الذي وقف عنده عبد الله الصغير ليلقي آخر نظرة على غرناطة.

(٤) في المقطع الأخير من الفصل الثاني ـ الباب الثالث، استفادة من الفتوحات المكية لابن عربي/ السفر ٣/ ص ٣٣٦.

(٥) وسيلاحظ القارئ أن أغلب عناوين الفصول مستعارة من عناوين كتب معروفة، بالنص أو بشيء من التغيير.